

رَمٌّ وَمُرْهَبَات

قصة بقلم صباح محيي الدين

هذه محاولة . محاولة نقل اسلوب صنعة من فن الى اخر ، من التصوير الى القصة ...
لاوضح فاقول : التصوير ينفرد عن غيره من الفنون في انه يعتمد على التواقف فيما يؤديه . ينظر المرء الى لوحة فيرى كل شيء دفعة واحدة . ان كانت اللوحة مشهدا طبيعيا رآى الاشجار والسماء والماء والطيور فخرج من نظرتة بانفعال كلي ، غير مجزء . وكذلك اذا كانت اللوحة دينية او حربية ، او حتى تجريدية ، فانه حتى في هذه الحالة يرى الالوان والخطوط والاحجام وما بينها من سافر او تناظر دفعة واحدة .

اما الموسيقى فقاومة على التتابع والتواقف معا ، نعمة تنبع نعمة . ولحن يسوق لحنا ، على الرغم مما بين الالات من نواقف .
واذا جئنا الى القصة وجدنا انها تقوم على التتابع فحسب . اذا ان السرد ، سرد الحوادث ، او سرد الانفعالات يأتي مسلسلا على الورق وفي ذهن القاري . يدخل البطل تم ينكلم ثم ينلقى الجواب سم يخرج ، في حين ان الواقع يختلف تمام الاختلاف ، اذا ان البطل يدخل وهو ينكم مثلا ويخرج وهو ينلقى الجواب .

فالقصة اذن ، في اسلوبها المعروف ، بعيدة اشد البعد عن اداء الواقع .
ولقد جرت محاولات عديدة للخروج بالقصة من سجن « التتابع » واطلاقها في ميدان « التواقف » .
فحاول بعض الكتاب مثلا ان يأخذوا حادثة لها اكثر من بطل ويسردوها مرات متتالية بعدد الابطال ، كل من وجهة نظره وحسبما رآها وعلمها . ولعل خير مثال على هذه الطريقة قصة امريكية اسمها « جبرسان لويس ري »
The Bridge of San Luis Rey
Thornton Wilder
على ما اذكر - ومؤلفها نورتن ويلدر

وكذلك حاول آخرون ، واشهرهم جان بول سارتر ، ان يلتزم التواقف في روايته المطولة « طرق الحرية »
Les chemins de la liberté
اذ جعل شخصياته تعيش في اكثر من مكان معا ، في الواقع وفي الذكرى وفي المستقبل . ولم تكن محاولة موفقة لضخامتها اذ ان القاري ينيه في مهامه الحوادث المتواقفة التراكمية .
وثمة محاولات اخرى من هذا القبيل ما زالت تجري لجعل القصة تؤدي صورة واقعية عن الحياة .

★

هذا كلام طويل يمهّد لقصة قصيرة . ولقد حاولت في هذه القصة ان اتحاشى الصعاب التي واجهها غيري ، فاقترعت من الشخصيات على اثنتين ، ومن المواقف على اقل عدد ممكن .
وثمة اشياء جديدة في هذه المحاولة ، او هذا - على الاصح - ما يخيّل لي :
اولا : التواقف الفعلي ، اي ان انفعالات الشخصيتين تسير جنباً الى جنب ، في القصة ، وعلى الورق
ثانيا : اشتراك الشخصيتين في الكلام ، وفي بعض الاجواء وهذا الكلام وان كان مشتركا الا انه يصدر عن عواطف ويؤدي الى انفعالات مختلفة في كل من الشخصيتين . وهذا ما يجري في الواقع .

★

واعود فاقول : ليست هذه الا محاولة ، قد ترضي او لا ترضي ، ولعل ما يشفع بها انها تسعى الى اعطاء القاري صورة اقرب ما تكون عن الواقع المعاش ، كما تحياه شخصيات القصة ، وكما تحياه جميعا .

الكتاب

وقفت ل . مسسدة الى حاجز اليخت الصغير وقبضت بيدها على امراس الحاجر ، واخذت تنظر الى الافق حيث تمتزج زرقة السماء الصافية بزرقة البحر المائية .

جلس م . على المقعد الذي يتصدر ظهر اليخت الصغير ووضع كتابه الى جانبه ونظر الى الافق البعيد حيث تمتزج زرقة السماء الصافية بزرقة البحر المائية .

وكان الماء من الهدوء بحيث ان اليخت كان كأنه يتزلق على بحر من الزيت الاملس

واحس ل . بالسكينة تهبط على نفسها فاستسلمت لها بكل جوارحها ، انها لفرصة سعيدة ان تخرج بعد ظهر هذا اليوم في سفرة مثل هذه تمتزج فيها بالطبيعة الحية ، بالنور وبالهدوء وبالماء

واحس م . بالسكينة تهبط على نفسه فاستسلم لها بكل جوارحه . انها لفرصة سعيدة ان يخرج بعد ظهر هذا اليوم في سفرة مثل هذه يمتزج فيها بالطبيعة الحية ، بالنور وبالهدوء وبالماء

وكان اليخت متوجها الى قرية صيادين على بعد نحو ساعة ونصف الساعة يقال ان البحر فيها صاف مهما بلغ من العمق ، والرماسل فيها احمر كالمرجان .

ومد ل . يده الى كتابه ليتسلى به ، اذ لم يكن بين المدعويين الى هذه السفرة غيره ، من تربطه بهم اكثر من معرفة عابرة ، لا تضمن لذة الحديث والتبسط

ومد م . يده الى كتابه ليتسلى به ، اذ لم يكن بين المدعويين الى هذه السفرة غيره ، من تربطه بهم اكثر من معرفة عابرة ، لا تضمن لذة الحديث والتبسط

وتحولت ل . عن مكانها تريد ان تنزل الى بطن السفينة كي تلبس المايوه ،
فوقع نظرها على رجل يجلس على المقعد الذي يتصدر ظهر اليخت وفسى
يده كتاب ولم يعلق في نفسها منه سوى حركة وهو يفتح كتابه ويأخذ في
القراءة .

ومرت بينه وبين الافق فتاة التقى بها مرة او مرتين من قبل ونظر اليها
فلم يعلق في نفسه منها سوى شعرها الاشقر الطويل وثوبها المشجر .
وفتح كتابه وأخذ يقرأ .



خرجت ل . من السفينة وسارت الى حاجز اليخت تستند اليه وتقبط
بيديها على امراسه . وكانت ترتدي مايوها برتقاليا زاهي اللون كازهار الرمان
عند تفتحها ، اختارته من بين عشرات المايوهات لانه يتناسق ولسون
بشرتها الخمري وادركت ان الجالس على المقعد رفع رأسه عن كتابه ،
واخذ ينظر اليها اكثر مما يجب بين معارف عابرين . وادركت انه يتفحصها
وابتسمت لنفسها حين رأت من طرف عينها التغير في وجهه ، اذ رأى
الفارق بينها لابسة ومتجردة
وشعرت انه سيكلمها وسمعتة يقول :

رفع م . رأسه عن كتابه فاذا بالفتاة وقد خرجت من بطن السفينة وهي
ترتدي المايوه ، كان مايوها برتقاليا زاهي اللون كازهار الرمان عند تفتحها
يتناسق ولون بشرتها الخمري . وادرك م . انه يديم النظر اليها اكثر مما
يجب بين معارف عابرين . . . ورأى ان لون عينيها اخضر وان ثوبها
المشجر كان ستارة تخفي وراءها جسما مكتمل التركيب ، اقرب الى
الامتلاء ، بشرته طفولية ملساء ، رياضي التقاطيع ، ناهد الصدر ، صيباني
الساقين .
واحس بالحاجة الى التحدث اليها فقال :

- اما زلنا بعيدين عن القرية ؟

وكادت تضحك من هذه الفاتحة
فقالت :

وادرك انها فاتحة فاشلة فسكت .
فقالت :

- نصف ساعة على الاكثر .

- هل جئت في مثل هذه السفرة من قبل ؟

- مرات عديدة

وانتظرت منه ان يستمر في الحديث . لقد سمعت عنه انه قصاص ،
وقرات له بعض قصصه وهي قصص فيها كثير من الجرأة في التفكيك
والتعبير . الا انه يبدو جريئا على الورق فقط كالكثير الكتاب . ام تراه
سيلبس المايوه ؟ هل يعرف السباحة ؟ كيف سيكون حين ينزع ملابسه يا
تري ؟ اظن هكذا ملموما على نفسه ، ينظر اليها بعينين جامدتين
فارغتين ، ام تدب فيه بعض الحياة . وداخلتها رغبة في ان تهز جموده ،
وتخرجه عن هذه الصراحة البادية عليه . وسمعتة يقول :

وعاد ينظر اليها بعينين جديدتين . لم يقم بهذه السفرة الا لان
رفاقه فيها كل مشغول بنفسه عنه ، يتركون له المجال للأخلاق السي
الهدوء والسكينة . الا ان هذه الفتاة . . غير الفتاة التي عرفها معرفة
عابرة . . لقد خلقت خلقا جديدا منذ نفضت عنها ثيابها . . من يدري
لعله يجد مادة قصة فتكون السفرة موقفة في اكثر من ناحية . . كان في
قصصه يحاول دوما ان يكشف عن الوجه الحقيقي لشخصياته . . ان
يزيل القناع الذي يختبئون وراءه ، ان يجردهم . . ويا لها من قصة ممتعة
قصة فتاة تتغير شخصيتها بين ثوب ومايوه . وحده ان أفضل سبيل
الى استيقاظها معه اكثر وقت ممكن هو اشعارها بأنه في حاجة اليها
فقال :

- يقولون ان امام الشاطئ صخورا مرجانية جميلة حولها صخور بلون الدم تسبح بينها اسماك رائعة الالوان

وتهيأت ل . لاستقبال الخطوة التالية

ونوف م . قليلا يستعد للخطوة التالية

- هل تعرفين اين توجد هذه الصخور ؟

نعم اغطس اليها كلما اتيت الى القرية

وخفضت ل . رأسها كي لا يراها تبسم اذ علمت انه سيقول :

وعمد م . ان يكون صوته هادئا فيه مسحة من عدم المبالاة :

- هل تقبلين برفيق لك في الغطس هذه المرة ؟



قفزت ل . من سطح اليخت الى البحر واحست بطراوته تلف جسمها
وغطست وهي فاتحة عينيها في عالم اخضر بلون الزجاج ، يغمره سكون
مطلق تستريح له النفس وتسترخي فيه الاعصاب .
وخرجت الى السطح ونفضت الماء عن شعرها ووجها ونظرت حولها
فاذا بسائر رفاقها يسبحون نحو الشاطئ لا تبدو منهم سوى رؤوسهم
كأنها كرات عائمة .

قفز م . من سطح اليخت الى البحر واحس بطراوته تلف جسمه ،
ونغطس وهو فاتح عينيها في عالم اخضر بلون الزجاج ، يغمره سكون مطلق ،
تستريح له النفس وتسترخي فيه الاعصاب .
وخرج الى البحر ونفض الماء عن شعره ووجهه ونظر حوله ، فاذا
بسائر رفاقه يسبحون نحو الشاطئ ، لا تبدو سوى رؤوسهم كأنها كرات
عائمة .
ورأى ل . نسبح غير بعيدة عنه ، وتلفتت نظرها اليه وبشير بيدها .

- تمسال

وضرب في الماء ذراعيه بسرعة ليصل ل . واخذ يسبح السى جانبها في حركات منتظمة انتظام حركاتها هي ، كأنهما - الانين مرتبطان بمحرك واحد . . ووصلا الشاطيء فخرجا اليه وجلسا على الرمل ونظر م . الى البحر وقد اخذ بذهبه الاصيل واستطال ظل اليخت على صفحته الخضراء الزرقاء ، ثم نظر الى ل . وقد لمت ركبتها على صدرها تحديق ساهمة في الافق فقال :

- لم يبق من النهار سوى نصف ساعة على الاقل

وكادت لا تجيب عليه
ثم قالت :

ولم تجب عليه الا بهمة خافية
ثم قالت :

- اما زلت عازما على الفطس ؟

- لقد شوقتني اليه ... وانا مستمد

- تمسال

وقامت فقام . وشعرت به يسير خلفها قليلا فلم يعب ذلك اهتماما كثيرا وسارت ، كلها للذتها الحاضرة والآتية ، لذة السير على الرمل الناعم الدافئ ترك فيه الاصابع حفرا صغيرة كأنه انفجار ذرة ، ولذة الفطس التي تترقبها بكل جوارحها ، وتنتظر منها نشوة لا تعرفها الا في اعماق الماء حيث - تشعر بأنها انقلبت الى جنية من جنيات البحر . وسارا نحو عشر دقائق ثم انعطفا الى جون صغير منعزل غابا فيه عن اعين رفاقها ، ولم يعودا يسمعان فيه سوى وشوشة البحر على الرمل . وقالت ل . مرة اخرى ، بصوت فيه رنة اثار فضول م .

- تعال افركك على دنياي

ونزلت الى البحر ، الا ان م . ظل على الشاطيء ينظر اليها وهي تسير ببطء ، ينسج الزيد لها خلاخيل من الفضة ، وتساءل لماذا احضرته الى هذا المكان المنعزل ولماذا تريد ان تفرجه على دنياها . وعادت اليه فكرته التي راودته على اليخت . . فكرة القصة وقد دخل عليها عامل جديد . ووقفت غير بعيد عن الشاطيء ورفعت ذراعيها للف شعرا في جدلة ضخمة ، فبدت كأنها عشتروت خارجة من البحر والشمس المائلة الى المغرب تملا اطار ذراعيها المرتفعتين وتلمع على شقرة شعرها في تاج ذهبي . ونزل م . الى الماء يخوضه مسرعا وهو يقول :

لا تقف امام لذائك مكتوف اليدين

لا يعيش المرء في دنياه هذي مرين

ووصل الى جانبها وسألها

ووصل الى جانبها وسألها :

- هل تعرفين الخيام ؟

من هو هذا الخيام ؟ كانها في مدرسة وهو ينحنها ؟ اذا اسمر فتسابق ظننا فيما عولت عليه ، أليس لديه حديث آخر ؟ وواته يبسم في وجهها ويقول :

- انزلي قليلا ... اكثر اكثر ...

فنزلت رويدا رويدا حتى غابت في البحر حتى حدود المايوه ، ولم يعد يبدو منها سوى رأسها وعنقها ومنبت نهديا وجديلتها الشقراء تطفو نصف طفو على الماء .

ووقف ل . في مكانها تنظر اليه والشمس المائلة الى المغيب نفسيه
جسمه ونظرت اليه معاتبه فرأت فيه فتوة وقوة ما كانتا له وهو لا يس .
وقالت :

ووقف م . في مكانه ينظر اليها ، ويحس برغبة فيه تبرعه وتبسدا
بالتفتح ، وسمعها تقول :

- اظلم هكذا الى غد ؟

فأجاب بصوت شمعت ل . منه بهزة خفيفة في اعصابها .

فأجاب بلهفة ما كان يظن انه قادر عليها بهذه السرعة :

- لا تتحركي .. دقيقة اخرى

وجمد الاثنان في مكانهما كأنهما تماثلان لولا انفاسهما المتسارعة .
واحست ل . بانها ان لم تتحرك ، فان م . مقدم على امر لم تتأهب له بعد
... فهبت من مكانها وقلدت بنفسها في البحر واخذت تسبح بسرعة وهي
تضحك لاختفاء ارتباكها .
وبعد ان سبحت بضعة امتار التفتت نحو م . فاذا به يعود على خطاه
ويصل الشاطئ فيجلس ، فعادت تسبح نحوه وصاحت :

وجمد الاثنان في مكانهما كأنهما تماثلان لولا انفاسهما المتسارعة . واحس
م . بدافع يدفعه بقوة نحوها فتقدم مسرعا فاذا بها وكأنها شمعت بأنه
عازم على شيء ، تهب من مكانها وتذف نفسها في البحر وتسبح بسرعة
وضحكاتهما تركض على سطح الماء .
واحس م . بأنها قد رأت ما اعتمل في نفسه فانقتل عائدا على خطاه،
ووصل الى الشاطئ فيجلس فاذا بها تعود نحوه وتصيح :

- الا تأتي

وشمعت ل . بانها ترغب في ان تراه يأتي نحوها ويسبح معها
ويغطسا الى الاعماق واذا به يقول :

وداخل م . مثل الملل من هذا المد والجزر في حديثهما وحركاتهما
وانفعالتهما فقرر ان يتظاهر بالتمب وقال :

- انسا تصب ... سابقى على الشاطئ

ووجدت في جوابه تحديا لها ، ولما اظهرته نحوه من لطف ، ورجوعا لا
مسبب له عما نشأ منذ لحظات . ووقفت تفكر . ثم قالت في لهجة تعمدت
ان يكون فيها اغراء وشبه وعد :

ورأى انها لم تخرجوا بل ووقفت في الماء حيث هي واخذت تنظر اليه وقدمال
راسها الى كتفها الايمن قليلا ، كأنها تبحث عن حل لمسألة عويصة ، ثم
سمعها في لهجة فيها اغراء وشبه وعد تقول :

- احقا لا تريد ان تتفرج على دنياي ؟

فراته يقوم من مكانه ويدخل البحر ويأخذ يسبح
وكانت الشمس قد اصبحت عند خط الافق تقريبا تحرق على البحر
دم الشفق البرتقالي وينحسر النظر ليريقها على صفحة الماء ...
ووصل م . الى حيث تطفول . فقالت :

فقام من مكانه وسار الى البحر وأخذ يسبح
وكانت الشمس قد اصبحت عند خط الافق تقريبا تحرق على البحر
دم الشفق البرتقالي وينحسر النظر ليريقها على صفحة الماء .
ووصل م . الى حيث تطفول . فقالت :

- هيا بنا

وغطست ل . وبحركات سريعة غاصت في جوف الماء ، محاولة ان تنزل
الى اعماق ما يمكن حيث الاسماك والمرجان والهدوء الذي لا مثيل له في
الجو الخارجي . وسبحت تحت الماء في حركات بطيئة قوية منتظمة ،
كانها سمكة الا انها سمكة تدرك جمال هذا العالم الفريد الغريب .
وتستسلم للسكينة التي يسكبها في اعماقها واجالت انظارها حولها
تبحث عن صخور المرجان وداخلتها لذة عظيمة - تتجدد في كل مرة تنزل
فيها تحت الماء وهي تنظر الى النور الغامض الذي يضيء كل شيء من
كل ناحية كأنه من جوهر هذا العالم لا آت من بريق الشفق الذي يخطف
الابصار فوق

وغطست ورأى اخمص قدميها في لحظة خاطفة ثم انطوى عليها اليم
فغطس بدوره . وفتح عينيه في الماء يفتش عنها . واحس ، حين غادر
سطح الماء انه قد دخل في عالم جديد ، كأنه قد اجتاز صفحة مرآة الى
وراء المرآة ، ففي الاعماق لم يكن بريق الشفق الذي يخطف الابصار الا
بصيصا من نور اخضر يضيء هذا العالم الغريب بنور يأتي من كل طرف .
وادرك م . ان هذا العالم له قوانينه وله حياته الخاصة ، وفوره الذي
يضيء على الاشياء والمخلوقات رداء من الشعر المغرب .
واخذ يشق الماء بذرعيه وسرعان ما رأى ل . امامه على مرمى الذراع ، فمد
يده اليها ولكن لم يقبض الا على الماء .. وابتسم في باطنه اذ نسي ان
العالم له قوانين خاصة .

واحست بالماء البارد يمر على جسمها باضاب صديقة حنونة لطيفة ،
لطلق شعرها من عقال الجديلة فيطفوا خلفها . ذكرت ان م . غطس
خلفها ، فاستدارت لترى اين هو ورأت شبحا اسود يزحف نحوها ، كأنه
خلد كبير يشق طريقه نحوها وابتسمت في خلدتها اذ تصورت وجه م .
لذ انها قالت له يشبه الخلد وهو تحت الماء . واقترب منها حتى اصبحت
ترى وجهه واضحا ، فاشرت له بيدها ان يتبها .

ونجأة رآها تستدير وتأتي نحوه ، فكانه اكتشفها من جديد مرة اخرى؛
شعرها وقد انقلت من عقال الجديلة ، يطفو خلفها كأنه ضمة مسن
الاعشاب الذهبية وعيناها مفتوحتان كأنهما كوتان خضراوان في دنيا كلها
خضرة وماء وجسمها قد اكتسى ابعادا واحجاما ولبس ليونة ولدونة
لم تكونا له على البر .

ورآته يأتي نحوها وعيناها تلتصمان كأنهما مشبعتان بالفوسفور وقبض على
يسحبها نحوه وتخلصت منه ورفست الماء محاولة الصمود الى السطح ولكن
كان اسرع منها اذ لف ذراعيه حولها ، فتخلصت منه بعنف الا انها احست
بيديه تمران بسرعة وعنف على صدرها وبتنهد وساقبها .

ورآها تؤثر بيدها قبض على كلتا يديها واقترب منها فقاومت محاولة
وخلصت يديها منه الا انه لفها بذرعيه وقبض عليها بجميع جسمه . الا
ان الماء الخوان لا امان له ولا ممسك ، اذ ضربت ل . الماء بقدميها فاذا
بها تتصلص من بين ذراعيه كالمسكة من يد الصياد واحس بجسمها وهو

يمر على جسمه في حركة سريعة خاطفة .
لم يدم الأمر سوى ثوان معدودات ، صعد بعدها م . الى سطح
الماء ، فاذا ل . تسبح بعيدا عنه وهي تلقي اليه نظرات فيها الدهشة
وفيها ما يشبه السرور وفيها الاستفزاز
وسبح م . بسرعة حتى وصل الشاطئ وجلس على الرمل واذا بها تسبح
نحوه وتقف على بعد قليل كأنها تفكر في امره ثم خرجت من الماء وجلست
غير بعيد عنه

ووصلت الى سطح الماء وهي تلهث وضربت بذراعيها ورحليها مبتعدة
عنه وهي تنظر اليه خشية ان يلحق بها .
ورأته يخرج بدوره ويقف مكانه ينظر اليها من بعيد وهو يتسبم
ابسامة غامضة لم يعجبه كثيرا ما فيها من اعتزاز وغرور واعتداد بالقوة
ورأته يسبح بسرعة حتى وصل الشاطئ وجلس على الرمل ، فسبحت
نحوه ثم توقفت تفكر فيما يجب عمله ولم يطل بها التفكير فخرجت بدورها
من الماء وجلست غير بعيدة عن م .

وكانت الشمس قد غابت ولم يبق على سطح البحر سوى نور ضعيف
على صفحة الماء كأنها عيون تفتحت في الاعماق . واخذ الظلام يهبط
والظلام ساحر ، يجرد الاشياء من مظاهرها ويعود بها الى الجوهر الازلي
ومثل الضباب اللؤلؤي واشعلت الانوار على اليخت ، واخذت تتراءى
بسرعة وبدت في كبد السماء نجمة المساء الزهرة نجمة العاشقين
... الظلام ضالع معهما . وهذا البحر . . انه البحر البدائي الازلي . .
همسه آت من وراء ملايين السنين .

وهذا غير بعيد عنها رجل لم تكن تعرفه منذ ساعات قليلة . . جالس
غير بعيد عنها ، لا تراه بل تحس بوجوده في جسمها وفي دماغها واعصابها
وسمعتة بدأ يتحدث بهدوء عن نفسه ، عن ما احسه بعد هذا الظهر . .
بينها وبينه اكثر من مترين ، ومع ذلك تحس بانه يمسه . . كلماته
وجمله كأنها حبال تلتف عليها وتقيد حركاتها . كل جملة لفحة من الحبل
وكل كلمة عقدة فيه . لقد حق لها ان تفضب اذ سمعته يقول ان كل
ما بدر منه كان في سبيل قصة يريد ان يكتبها . اذ انها ما زالت قصة !
ما زالت لعبة ! . وتود ان تؤمن بما يقسول ، الا ان في صوتيه
رنة بعيدة عن اللعب انه خطر واكثر خطره انه لا يثير الشك ولا الحذر
كل شيء طبيعي حين يصوره لو مد يده وامسك بها وعصرها بين ذراعيه
لوجدت ان ذلك استمرار في الحديث . . وفي القصة .

وهذه غير بعيدة عنه ، هي المرأة ، هي كل النساء ، لا يرى منها الا
شكلها وهي جالسة ، يرى خطوطا واحجاما جمعتها يد مجهولة فاذا بها
امرأة
واخذ يتكلم بهدوء كأنما يحدث نفسه وكان الظلام قد ابتلع كل
شيء ما عداه وعداها ، حدثها عن نفسه ، دون قناع . . وكشف لها ان اكثر
ما بدا منه بعد هذا انما كان في سبيل قصة اراد ان يكتبها ولم يكن
في مقدوره ان يفعل دون ان يحياها او يتصور انه يحياها ولم ينتظر
منها ان تبادله الحديث ، بل اكتفى منها بلفحات سريعة من رأسها وضحكات
خفيفة وبالجو الذي يلفها .

والتفت نحوها فاذا بها تنظر اليه . . لم ير ما في عينيها بسبب الظلام
... الا انه شعر انها على مرمى ذراعه . لو شاء !! لا لن يفعل ! اليس
يكتب قصة ؟ . . اليس الرغبة دوما الد من النوال ؟ . .

... ولم لا يفعل ؟

وعلا صوت من اليخت يصيح « ارجعوا . . لقد تأخرنا . . » يجب ان نعود
نقال م .

- قومي بنا ننادي الآخرين

فقامت وسارا بضع خطوات حتى وصلا الى كتيب من الرمل الناعم ، فجلس وقال لها

- تعالي

فوقفت حيث هي بعيدة عنه بعض الشيء وقد تبدت على صفحة السماء ،
الذي هب مع غياب الشمس يجفف جسمها نصف العاري . وارتعشت
كمن افاق من حلم وظلت في مكانها ساهمة تفكر . . لقد تحطم الطلسم
وذهب سحر اللحظات القريبة . واخذت تبسّم لنفسها وهي تخط باصبع
قدمها خطوطا على الرمل . لقد اخطأ التدبير ! لو ظل يتحدث ، اذن ربما !!
وسمعتة يهمس مشجعا لها كأنها يستجلب هرة :

فوقفت حيث هي بعيدة عنه بعض الشيء وقد تبدت على صفحة السماء ،
اطول مما هي في الواقع وغسالة من غسق تملأ انحناءة كشحيتها . ويدا
عليها التردد فاخذت تهتز في مكانها كأنها ترقص رقصة التردد ، ترفع رجلا
كأنها تريد ان تتقدم ، ثم تخط باصبعها خطوطا على الرمل .
واخذ يهمس لها كأنه يستجلب هرة :

- تعالي . . تعالي

وظلت في مكانها تخط خطوطها في الرمل كأنها لم تسمع . ثم قالت في
صوت ارادته ان يكون طبيعيا :

وظلت الهرة في مكانها تتلوى وتتثنى مغرية مثيرة . ثم قالت في صوت
فيه دلال وخوف مصطنع :

- سيرونا من اليخت

ومرت دقائق ثم سمعا صوت وفاقهما الايبين من ناحية القرية ليعودوا سباحة الى المركب وقال :

— سأعود في القارب

نقالت له :

— وأنا كذلك فاني متعبة

واخذ البحار يجذف وظهره اليهما ومد م . يده بهدوء الى شعرها يمسخ
عليه ويشعته ثم نزلت يده الى عنقها ، تدور حوله وتضغط عليه ضغطا
رفيقا . واحس انها قد تشنجت بعض الشيء كانها تنتظر شيئا . فرفع
يده عنها واحدة بواحدة ، لقد جاء دورها بالانتظار . ثم انه — اخر الامر —
يريدها قصة تكتب ، لا ذبول لها

واخذ البحار يجذف وظهره اليهما ومد م . يده بهدوء الى شعرها يمسخ
عليه ويشعته ثم نزلت يده الى عنقها ، تدور حوله وتضغط عليه ضغطا
رفيقا . واحس انها قد تشنجت بعض الشيء كانها تنتظر شيئا . فرفع
يده عنها واحدة بواحدة ، لقد جاء دورها بالانتظار . ثم انه — اخر الامر —
يريدها قصة تكتب ، لا ذبول لها

ومرت ثوان طويلة وهي ترتقب منه بادرة او حركة ثم فتحت عينيها فاذا
به قد اشاح بوجهه عنها كله واخذ ينظر الى الزبد المتلالي الذي يتركه
القاع ومدت يدها في غضب بارد وغرزت اظافرها في ساقه وجرتها في
عنف وندت عنه اهة الم مكتومه ، غمرتها بالارتياح وقالت :

واشاح بوجهه عنها واخذ ينظر الى الزبد المتلالي الذي يتركه القارب
فخيل اليه كأنه يسير في نهر المجرى في كبد السماء وفجأة احس بالم
يكوي ساقه كيا ، وبدت عليه اهة الم كتمها بجهد ، ونظر فاذا بها ترفع
يدها عنه وتقرب اظافرها من وجهه وسممها تقول

— السباحة على المرجان خطيرة لمن لم يعتدها

فقد يجرح ويتالم

صباح محيي الدين

(من مجموعة « السنفونية الناقصة » التي تصدر هذا الشهر)

يصدر هذا الشهر

السنفونية الناقصة

مجموعة قصص

بقلم

صباح محيي الدين

منشورات دار الآداب